

قال ظالم يهبط بسرعة بعد غروب الشمس في شهر سبتمبر/أيلول، واضطجَعَ على الخشب البالي لُمُقِّدَم القارب، واستراح قَدَّر ال مُستطاع. ولم يَكن يَعرف اسم النَجْم (رجل ال جَبَّار)، رآه، وسينتثر وقال بصوت عالٍ: ومن سعادتي أَننا لسنا مُضطَرِّين إلى أن نحاوَل قتل النُجُوم. يوم أن يحاول قتل القمر، لَتَوَجَّب على القمر أن يلوذ بالفرار، يوم؟»، وفَكَّر: «إِنَّا وَلِدْنَا مُحْظُوظِينَ. ثَمَّ شَعَرَ بِالْأَسْفِ لِل سَمَكَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي لَيْسَ لَدِيهَا مَا تَأْكُلُهُ، وَلَمْ يَخْفَفْ تَصْمِيمُهُ عَلَى قَتْلِهَا مِنْ أَسْفِهِ عَلَيْهَا أَبَدًا، هَؤُلَاءِ النَّاسُ أَكَلُهَا؟ ال، طَبْعًا، لَيْسَ ثَمَّةَ مَنْ يَسْتَحِقُّ أَكْلُهَا؛ نَظَرًا لِل طَرِيقَةِ الَّتِي تَصَرَّفَتْ بِهَا، وَلِكِبَرِيَّاتِهَا الْعَظِيمَةِ. أَوِ النُّجُومِ، الْقَارِبِ، فَقَدْ أَفْقُدُ كَثِيرًا مِنَ الْخِيْطِ فَأَفْقُدُ ال سَمَكَةَ، الْقَارِبُ تُطِيلُ مَعَانَاتَنَا مَعًا، سَرْعَةً فَائِقَةً لَمْ تَسْتَعْمَلْهَا بَعْدَ، فَإِنِّي تَفْسُدُ، يَجِبُ أَنْ أُنْزِعَ أَحْشَاءَ سَمَكَةِ ال دُولْفِينِ، وَأَنْظِفُهَا لِّئَالِ الْمَجْدَافَانِ خَدْعَةً بَارِعَةً، قَوِيَّةً، وَقَدْ رَأَيْتُ ال شَصَّ فِي زَاوِيَةِ فَمِهَا، وَقَدْ أَبْقَيْتُ فَمِهَا مُطَبَّقًا بِإِحْكَامٍ، مِنْ جُوعٍ وَكَوْنِهَا تَوَاجِهَ أَمْرًا ال تَفْهَمُهُ هُوَ كَلَّ شَيْءٍ. اسْتَرَحَ آلَنُ - أَيْهَا ال شَيْخُ - وَدَّعَا تَعْمَلَ حَتَّى يَحِينَ دُورُكَ فِي أَدَاءِ الْمَهْمَةِ التَّالِيَةِ. فَالْقَمَرُ لَمْ يَبْزُغْ بَعْدَ، وَلَمْ تَكُنْ لَدِيهِ وَسِيلَةٌ لِتَقْدِيرِ الْوَقْتِ، فَهُوَ مَا يَزَالُ يَتَحَمَّلُ جَرَّ ال سَمَكَةِ عَلَى كَتِفَيْهِ، وَلَكِنَّهُ وَضَعَ يَدَهُ الْيَسْرَى عَلَى حَافَةِ مُقَدَّمِ الْقَارِبِ الْعُلْيَا، وَأَلْقَى بِمَقَاوِمَةِ ال سَمَكَةِ، أَكْثَرَ فَاكْثَرَ عَلَى ال مَرْكَبِ نَفْسِهِ. وَفَكَّرَ: «كَمْ سَيَكُونُ الْأَمْرُ سَهْلًا لَوْ كَانَ فِي الْإِمْكَانِ رِبْطُ الْخِيْطِ بِالْقَارِبِ، يَتَوَجَّبُ عَلَيَّ أَنْ أَجْعَلَ مِنْ جَسَدِي وَسَادَةً تَخْفَفُ مِنْ ضَغْطِ الْخِيْطِ، إِلْعَاقًا مَزِيدًا مِنَ الْخِيْطِ بِكِلْتَا يَدَيَّ. وَقَالَ بِصَوْتٍ مَسْمُوعٍ: وَلَيْلَةٌ، وَآلَنُ مَرَّ نَهَارَ الْأُمُورِ فِي رَأْسِكَ. بَلْ وَفَكَّرَ: «إِنَّ الْأُمُورَ وَاضِحَةٌ بِصُورَةٍ وَاضِحَةٍ أَكْثَرَ مِنَ الْإِلْزَمِ، هِيَ أَخَوَاتِي، فَالنُّجُومُ تَنَامُ، وَالْقَمَرُ وَالشَّمْسُ يَنَامَانِ، عِنْدَمَا ال يَوْجَدُ فِيهِ تَيَّارٌ، أَجْعَلْ نَفْسَكَ تَفْعَلْ وَابْتِكُرْ طَرِيقَةً سَهْلَةً وَأَكِيدَةً لِلْخِيْطِ، وَآلَنُ عُدَّ إِلَى الْقَارِبِ بِتَثْبِيتِ الْمَجْدَافَيْنِ إِذَا كَانَ عَلَيْكَ أَنْ تَنَامَ. وَقَالَ لِنَفْسِهِ: «أَسْتَطِيعُ الِاسْتِمْرَارَ دُونَ نَوْمٍ، عَلَى يَدَيْهِ وَرَكْبَتَيْهِ؛ لِّئَالِ يَسْبَبُ جَرَّةً مَفَاجِئَةً لِل سَمَكَةِ، «رَبَّمَا هِيَ نَفْسُهَا نِصْفٌ نَائِمَةٌ؛ وَلَكِنِّي ال أُرِيدُهَا أَنْ تَسْتَرِيحَ، يَجِبُ عَلَيْهَا أَنْ تَجْرَّ الْقَارِبَ حَتَّى تَمُوتَ. وَعِنْدَمَا بَلَغَ مَوْخَرَ الْقَارِبِ، وَاسْتَلَّ سَكِينَهُ مِنْ غَمْدِهَا بِيَدِهِ رُؤْيَةً وَاضِحَةً فَأَغْمَدَ نَصْلَ سَكِينِهِ فِي رَأْسِهَا، تَحْتَ مَوْخَرَ الْقَارِبِ، ثَمَّ طَرَحَ سَكِينَهُ جَانِبًا، وَانْتَزَعَ أَحْشَاءَهَا بِيَدِهِ الْيَمْنَى، وَشَعَرَ أَنَّ كَرَشَهَا ثَقِيلٌ وَلَزَجٌ فِي يَدَيْهِ، فَشَقَّهُ، وَوَجَدَ فِي دَاخِلِهِ سَمَكَتَيْنِ طَائِرَتَيْنِ، وَأَلْقَى بِالْأَحْشَاءِ وَالْخِيَاشِيمِ مِنْ فِغَاصَاتٍ مُخَلَّفَةٍ وَرَاءَهَا أَثَرًا فَوْسُفُورِيَّ الْوَهْجِ فِي الْمَاءِ، كَانَتْ سَمَكَةُ ال دُولْفِينِ بَارِدَةً، وَسَلَخَ ال شَيْخُ جَانِبًا مِنْهَا، ثَمَّ قَلَّبَهَا، وَشَقَّ كُلَّ جَانِبٍ مِنَ الرَّأْسِ حَتَّى الذَّنْبِلِ. أَلْقَى بِهَيْكَلِ ال سَمَكَةِ الْعَظِيمِ إِذَا كَانَتْ ثَمَّةَ دَوَامَةٍ فِي الْمَاءِ، ثَمَّ اسْتَدَارَ، ال سَمَكَتَيْنِ ال طَائِرَتَيْنِ بَيْنَ شَرِيحَتَيْ سَمَكَةِ ال دُولْفِينِ، وَفِي تَوْدَةٍ، مِنْ حَنِّ الْقَارِبِ، وَهُوَ يَحْمِلُ ال سَمَكَاتِ بِيَدِهِ الْيَمْنَى، وَظَهَرَهُ وَعِنْدَمَا عَادَ إِلَى مُقَدَّمِ الْقَارِبِ وَضَعَ شَرِيحَتَيْ ال سَمَكَةِ عَلَى الْخَشَبِ وَال سَمَكَتَيْنِ ال طَائِرَتَيْنِ بِجَانِبَيْهِمَا، وَبَعْدَ ذَلِكَ، عَدَّ جَانِبَ الْقَارِبِ، وَصَارَ لِيَدِهِ لِمَعَانٍ فَوْسُفُورِيٍّ مِنْ جَرَاءِ سَلْخِهِ جِلْدَ ال سَمَكَةِ، وَرَاقِبَ جَرِيَانَ الْمَاءِ عَلَى يَدِهِ، فَتَسَاقَطَتْ جُزْئِيَّاتٌ فَوْسُفُورِيَّةٌ مِنْهَا، وَطَفَّتْ عَلَى الْمَاءِ فَجَرَفَهَا التَّيَّارُ بِبَطْنِهِ إِلَى مَوْخَرَ الْمَرْكَبِ. قَالَ ال شَيْخُ: وَإِنَّمَا أَنَّهَا تَسْتَرِيحُ، يَجِبُ بَعْدَ أَنْ أَفْرَغَ أَحْشَاءَهَا، وَقَالَ: أَتَعْسَهَا مِنْ سَمَكَةٍ وَهِيَ نَيْبَةٌ! سَوْفَ ال أَبْجُرُّ بِقَارِبٍ مَرَّةً وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: «لَوْ كُنْتُ ذَكِيًّا لَرَشْتُ الْمَاءَ عَلَى مُقَدَّمِ وَلَكِنِّي وَمَعَ ذَلِكَ، فَثَمَّةُ سُوءٍ تَدْبِيرٍ، جَيِّدًا، وَرَاحَتِ النُّجُومِ الَّتِي يَعْرِفُهَا تَخْتَفِي وَاحِدَةً تَلُو الْأُخْرَى، وَبَدَا - آلَنُ - كَمَا لَوْ كَانَ يَتَحَرَّكُ فِي وَادٍ سَحِيْقٍ مِنَ الْغَيْومِ، قَالَ: - «سَيَكُونُ ال طَقْسُ سَيِّئًا بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَوْ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، وَلَكِنْ وَمُطَرْدَةٍ أَمْسَكَ الْخِيْطَ الَّيْمَنَ عَلَى يَدِهِ الْيَمْنَى، وَاتَّكَأَ بِكُلِّ ثِقَلِهِ عَلَى خَشَبِ مُقَدَّمِ الْقَارِبِ، يَدُهُ الْيَسْرَى عَلَيْهِ، وَفَكَّرَ: «تَسْتَطِيعُ يَدِي الْيَمْنَى أَنْ تُمْسِكَ يَدِي الْيَسْرَى سَتَوْقَظُنِي حَالَ ذَهَابِ الْخِيْطِ بَعْدَ، صَعُبَ عَلَى الْيَدِ الْيَمْنَى، وَحَتَّى لَوْ أَنَا عَشْرِينَ دَقِيقَةً أَوْ نِصْفَ سَاعَةٍ، وَوَاضِعًا وَنَامَ. وَلَكِنَّهُ بَدَّلَ مِنْ ذَلِكَ حِلْمَ بِمَجْمُوعَةٍ وَتَعَوَّدَ إِلَى نَائِمًا فِي فَرَاشِهِ، فَشَعَرَ بِبَرْدٍ قَارِسٍ، عَلَيْهَا بَدَّلَ مِنَ الْوَسَادَةِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ رَاحَ يَحْلُمُ بِالشَّاطِئِ الْأَصْفَرِ الطَّوِيلِ، وَبِأَنَّهُ رَأَى أَوَّلَ الْأَسْوَدِ يَنْزِلُ إِلَى الشَّاطِئِ فِي مَطْلَعِ اللَّيْلِ، وَأَنَّهُ أَرَاهُ حَنَكَةً عَلَى خَشَبِ مُقَدَّمِ ال سَفِينَةِ الَّتِي أَلْقَتْ بِمَرَسَاتِهَا مَعَ هَيُوبِ نَسِيمِ الْمَسَاءِ مِنَ الشَّاطِئِ، يَتَرَقَّبُ وَصُولَ مَزِيدٍ مِنَ الْأَسْوَدِ، كَانَ الْقَمَرُ قَدْ ارْتَفَعَ فِي كِبَدِ السَّمَاءِ مِنْذُ دَعْدَةٍ، وَلَكِنَّهُ ظَلَّ نَائِمًا بَيْنَمَا كَانَتْ ال سَمَكَةُ تَوَاصِلُ الْجَرَّ بِانْتِظَامٍ، وَالْقَارِبُ يَسِيرُ أَفَاقَ عَلَى هَزَّةٍ مَفَاجِئَةٍ مِنْ قَبْضَتِهِ الْيَمْنَى عَلَى وَجْهِهِ وَحَرَقَةَ الْخِيْطِ فِي يَدِهِ الْيَمْنَى، وَلَكِنَّهُ انْفَلَتَ خَارِجًا، عَثَرَتْ يَدُهُ الْيَسْرَى عَلَى الْخِيْطِ، هُوَ إِلَى الْخَلْفِ مُلْقِيًا بِثِقَلِهِ عَلَى الْخِيْطِ الَّذِي رَاحَ آلَنُ يَحْزُ ظَهْرَهُ وَيَدُهُ الْيَسْرَى، وَقَدْ أَخَذَتْ يَدُهُ الْيَسْرَى تَتَحَمَّلُ الْعِيبَ وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، وَانْطَلَقَ الْقَارِبُ بِسُرْعَةٍ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْخِيْطَ مَازَالَ يَنْسَابُ إِلَى الْخَارِجِ، وَجَرَّ ال شَيْخُ إِلَى الْأَسْفَلِ بِقُوَّةٍ، وَارْتَطَمَ وَجْهُهُ بِشَرِيحَةِ ال دُولْفِينِ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَتَحَرَّكَ. وَفَكَّرَ: «هَذَا مَا كُنَّا نَنْتَظِرُهُ، وَعَلَيْنَا آلَنُ أَنْ نَوَاجِهَهُ. لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَشَاهِدَ وَثِيَّاتِ ال سَمَكَةِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ فَقَطْ كَانَتْ سُرْعَةُ انْفَالَتِ الْخِيْطِ تَجْرَحُ يَدَيْهِ بِشَدَّةٍ، وَلِهَذَا حَاوَلَ أَنْ يَجْعَلَ الْخِيْطَ يَمُرُّ عِبْرَ الْأَجْزَاءِ ال صُلْبَةِ مِنْ يَدَيْهِ، وَأَلَّ يَدْعُهُ يَنْزِلُقُ إِلَى رَاحَةِ الْيَدِ، أَوْ يَجْرَحُ أَصَابِعَهُ. وَفَكَّرَ ال شَيْخُ: «لَوْ كَانَ ال صَبُّ هُنَا لِبَلِّ لَفَاتِ الْخِيْطِ،

لو كان الَّ صَبُّي هُنا. ولكنَّه أخذ الَّالن بالتَّباطؤ، وسيجْعُل الَّ شيخ الَّ سَمَكَة تدفع مَقابِل باهَ ظا لك لَّ الَّالن رفع الَّ شيخ رأسه من الخشب ومن ثَمَّ - على مَه ل- قام واقفاً على قَدَمَيه، يُرخي الخيط، كانت التزال وفرةً من الخيط، وعلى ذلك الخيط الجديد بالماء. أكثر من اثنتي وف كَر: «نعم، الَّالن بعد أن قَفَزَت الَّ سَمَكَة ومألَت الجيوب الَّ مُمتدَّة على طول ظَهرها بالهواء، الَّذي أثارها هكذا إثارة مفاجئة؟ أَل يكون الجوع هو الَّذي بالخوف فجأة؟ ولكنَّها كانت قبل ذلك سَمَكَة على قَدَرٍ من الهدوء والقوَّة، وب دَت بالغَة اليقَّة وبال خوف، إنَّه أمرٌ غريب. وواتقاً بنفسك، فأنَت التزال تُم سَك بها، ولكنَّك الَّ تستطيع أن تسترَّد الخيط، الَّ دوران. وانحنى ليغرف بيده اليمنى شيئاً من الماء ليُزيل ما علق بوجهه من لَحِم سَمَكَة الَّ دُولفين، بالماء من على جانب القارب، ثَمَّ تركها في الماء المالح وهو يراقب أَوَّل خيوط الَّ ضوء القادمة قُبيل شروق الَّ شمس،